تواصل
مؤسسة تواصل للدراسات والتوعية الثقافية

ERTC
The Egyptian Research and Training Center

المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية

المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية

مجلة علمية نصف سنوية - محكّمة

ISSN: 2682 - 2725

استطلاعات الرأي نحو المخاطر العالمية وقدرة الأفراد على الصمود
جولي راي

الاتجاهات البحثية الحديثة في مجال علم الاجتماع الصناعي وآفاقه المستقبلية
دينا مفيد على حسن

الوظيفة الاجتماعية للحارة المعاصرة: دراسة في سوسيولوجيا المكان
فاطمة الزهراء علي أمين

الأوضاع المعيشية في النوبة الجديدة بين عوامل الاستقرار ودوافع العودة
أحمد عبد الموجود الشناوي

الوعي المجتمعي بدور التحول للاقتصاد الأخضر في مواجهة التحديات البيئية: دراسة ميدانية
شيماء عبد العزيز عبد الباسط

دور المرأة في تعزيز الأخذ بالثأر في ممارسات الحياة اليومية
أميرة رمضان محروس إبراهيم

العلاقات الجنسية داخل العالم الافتراضي: دراسة ميدانية على عينة من الشباب بالقاهرة الكبرى
رحاب محمد عبدالحي عبدالخالق

عرض كتب Book Review
أسماء فريد الرجال - خالد عبد الفتاح عبد الله

حوار الأجيال د.عبدالله عسكر
المحاور: وائل حسن يوسف

المحرر
د. محمد أبو العينين

رئيس التحرير
د.عبد الحميد عبد اللطيف

العدد السابع
ابريل ٢٠٢٣

مقدمة في دراسات الهجرة

تأليف: د.أيمن زُهْري

خبير السكان ودراسات الهجرة

الناشر: مكتبة الأنجلو، القاهرة، ٢٠٢٣

عرض خالد عبد الفتاح عبد الله

أستاذ علم الاجتماع المساعد، كلية الآداب، جامعة حلوان

أسطر هذه السطور لعرض كتاب أيمن زهري بعنوان (مقدمة في دراسات الهجرة)، ونحن على أبواب شهر فضيل من شهور التقويم الهجري. ذلك التقويم الذي نشأ في التاريخ الإسلامي بفعل الهجرة النبوية التي كان -وما زال- لها تأثيرها السياسي والديني الكبير على الإنسانية. الهجرة فعل إنساني، وظاهرة اجتماعية مهمة، لها أسبابها وتأثيراتها وتداعياتها المتنوعة، ولا ينصرف الذهن للتأثير الديني بحكم المثال الذي افتتحنا به هذا المقال، فالهجرة والتنقل حدث مهم في التاريخ الإنساني ارتبطت به حركة تجارة، وكشوف جغرافية، وانتشار ثقافات، فالنظرية الانتشارية في الأنثروبولوجيا تفسر انتقال وانتشار العناصر الثقافية بفعل التنقل البشري. ونظرًا لهذا التنوع أصبحت الهجرة تشغل اهتمام علوم كثيرة، خاصة مع زيادة أعداد المهاجرين الدوليين.

وعلى غرار موضوعات تشترك علوم كثيرة في الاهتمام بها، استطاعت أن ترسم حدودها كحقول معرفية مستقلة، مثل موضوعات ذكرها الكاتب في مقدمته، كموضوع التنمية، الذي أصبح له حقل مستقل باسم دراسات التنمية، وأضيف إليه مثال آخر أكثر وضوحًا وهو موضوع الثقافة الذي استطاع أن يرسم حدودًا واضحة، ويتشكل في حقل معرفي مستقل باسم الدراسات الثقافية. يحاول أيمن زهري من خلال هذا الكتاب أن يؤسس لحقل دراسات الهجرة، الذي امتد اهتمامه بها لأكثر من عشرين عامًا، كما يوجه من خلال الكتاب الدعوة للمهتمين للمشاركة في التأسيس أو بلورة هذا الحقل المعرفي الذي يتفرق الاهتمام به على علوم الاجتماع والسياسة والسكان والجغرافيا البشرية والاقتصاد وغيرها. هذا إذن هدف واضح للكتاب والمؤلف حاول أن يحققه في عدد محدود من الصفحات، اتسمت بالأسلوب الرشيق في الكتابة السلسة تعكس تمام شخصية الكاتب التي يعرفها كل مقربيه.

يتكون الكتاب من تسعة فصول تأخذ القارئ بشكل تدريجي للتعمق في الموضوع، فيبدأ

الكتاب في فصله الافتتاحي التأسيسي بتحديد المفاهيم والمصطلحات، ليعين القارئ غير المتخصص على الأقل في رحلة القراءة، فيبدأ بتعريف وتصنيف المهاجرين وأسباب هجرتهم. ثم يتناول أنواع الهجرة، وبعض الظواهر المهمة المرتبطة بالهجرة، ثم ينتقل ليعرض أهم دوافع الهجرة، ويبين الفرق بين مصطلحين مهمين في دراسات الهجرة، هما: مخزون الهجرة، وتيارات الهجرة؛ وينهي الفصل بموضوع تحديات دراسات الهجرة. ويؤكد على أن أدبيات الهجرة لا تتفق على تعريف محدد. لذا؛ يشير إلى تعريف المنظمة الدولية للهجرة بوصفه الأوسع والأشمل للهجرة الذي ينص على: أن المهاجر هو أي شخص ينتقل، أو سبق وأن تنقل عبر الحدود الدولية، أو ضمن حدود الدولة ذاتها، بعيدًا عن محل إقامته المعتادة، بغض النظر عن الوضع القانوني للشخص، أو ما إذا كان التنقل طوعيًّا أو قسريًّا، أو الأسباب التي أدت إلى التنقل، أو مدة الإقامة.

ويخصص زهري الفصل الثاني لتناول موضوع مخزون وتدفقات الهجرة، فقد سبق وبين الفارق بين المفهومين في الفصل السابق على أنه يتعلق بزمن قياس الهجرة، فالمخزون يتم فيه قياس المهاجرين في لحظة زمنية محددة؛ بينما التدفقات أو التيارات يتم فيها قياس المهاجرين في مدة زمنية ممتدة. وفي هذا الفصل يعرض زهري لتطور أعداد المهاجرين الدوليين، فيذكر أنه ارتفع من ١٥٣ مليونًا عام ١٩٩٠ إلى ٢٨١ مليونًا تقريبًا عام ٢٠٢٠. وينتقل الفصل ليوضح أين يعيش المهاجرون الدوليون، والدول المستقبلة للهجرة، ومناطق الجذب في الهجرة الدولية، ويشير إلى أن ٦٠٪ من المهاجرين الدوليين يوجدون في آسيا وأوربا. وينتقل الفصل ليوضح من أين يأتي المهاجرون الدوليون. ويشير إلى أن الهند في المرتبة الأولى، والمكسيك في المرتبة الثانية من حيث عدد المهاجرين منها إلى بلدان العالم. وينهي الفصل بمناقشة اللاجئين والنازحين الذين يقدر عددهم بأكثر من ٨٠ مليون شخص.

يختص الفصل الثالث بعرض نظريات الهجرة. ويقر بأنه لا توجد نظرية واحدة متفق عليها لتفسير الهجرة، وتعتمد كل نظرية من النظريات على عامل واحد أو أكثر من العوامل المرتبطة بالهجرة، ويشير إلى أن كل نظرية تعتمد على تخصص معرفي بعينه من تخصصات العلوم الاجتماعية، لذلك لا تلمُّ هذه النظريات بالمنظور المتكامل لتحليل الطابع المعقد للهجرة البشرية. كما يشير إلى أن كل هذه النظريات تسقط من حساباتها الهجرة القسرية، وتهتم فقط بتفسير الهجرة الطوعية. ويصنف الكاتب النظريات وفقًا لمستوى تحليل دوافع الهجرة، فيذكر نظريات على المستوى الكلي؛ مثل: النظرية النيوكلاسيكية الكلية، ونظرية سوق العمل المزدوج، ونظرية النظام العالمي. وهي نظريات ترجع أسباب الهجرة إلى بنية المستوى الكلي، والحالة الاقتصادية للبلدان المرسلة والمستقبلة، ومعدلات البطالة والتفاوت في الدخل وغيرها. كما يذكر نظريات المستوى المتوسط، ومن أشهرها نظرية شبكات الهجرة التي تؤكد على وجود شبكات بين كافة

الجماعات المهجرية. وينتهي بذكر نظريات المستوى الجزئي؛ مثل: نظرية عوامل الطرد والجذب، ونظرية رأس المال البشري، ونظرية اقتصاديات الهجرة الجديدة. وهي نوعية من النظريات ترجع أسباب الهجرة إلى القيم، والرغبات والتوقعات الفردية، مثل: تحسين جودة الحياة، والثراء، وغيرها.

ويتناول الفصل الرابع سياسات الهجرة، ويشير إلى أنه مع زيادة الحراك البشري ظهر العديد من المشكلات والعوامل السلبية المرتبطة بالهجرة؛ مثل: قضايا اللجوء وتهريب المهاجرين، والهجرة غير النظامية، والاتجار بالبشر، وهجرة العقول، وانتهاك حقوق المهاجرين، والمتاجرة بقضايا الهجرة من أجل مكاسب سياسية، وتغيير التركيبة الديموغرافية بالدول المستقبلة، ونقل أفكار وثقافات إلى بلدان الاستقبال قد تتعارض مع قيم تلك الدول، بالإضافة إلى ظاهرة رهاب الأجانب. لذلك يسعى المجتمع الدولي لوضع المعايير التي تكفل إدارة جيدة للهجرة وتعزيز الدور الإيجابي لها. في هذا الإطار يعرض الفصل لمفاهيم حوكمة الهجرة وسياسات الهجرة بالإضافة لعرض أهم الميكانيزمات والأطر الدولية الخاصة بها، كالميثاق العالمي للهجرة الآمنة والنظامية والمنتظمة، والاتفاقيات والمعاهدات الخاصة بالهجرة الدولية.

وينفرد الفصل الخامس بعرض طرق جمع بيانات الهجرة، حيث يصنف مصادر هذه البيانات إلى بيانات تقليدية وبيانات جديدة. تشمل مصادر البيانات التقليدية ستة مصادر، هي: تعدادات السكان، والمسوح الأسرية بالعينة، والسجلات السكانية، وسجلات الأجانب، وإحصاءات الحدود، والمصادر الإدارية؛ بينما تشمل مصادر البيانات الجديدة ما يطلق عليه البيانات الكبيرة ذات الصلة بالهجرة. ويعرض الفصل لهذه المصادر موضحًا مزاياها وعيوبها.

ويأتي الفصل السادس المعنون "الهجرة والديموغرافيا"، ليناقش العلاقة بين الهجرة والديموغرافيا ليس فقط لأن الهجرة أحد مكونات النمو السكاني؛ بل لأهمية قضايا الهجرة في علاقتها بالسلوك الإنجابي وتوزيع السكان ومقاييس التحضر ونمو المدن. فيتناول الفصل الهجرة بوصفها أحد مكونات النمو السكاني، والعلاقة بينها وبين كل من الزيادة الطبيعية، والتحول الديموغرافي، وتعمر السكان.

ويستعرض الفصل السابع مقاييس الهجرة، ويوضح أن الاستعانة بالمقاييس في تقدير الهجرة يصبح ضروريًّا عندما لا تتوافر البيانات الخاصة بالهجرة للباحثين. ويصنف المقاييس إلى مقاييس غير مباشرة تستهدف تقدير صافي الهجرة؛ حيث يمكن استخدام بيانات التعداد، والمواليد والوفيات، والسكان طبقًا لخصائص مختارة في صافي الهجرة. ويمكن حساب صافي الهجرة بطريقتين، الأولى هي طريقة المكونات لإجمالي السكان بين تعدادين، والثانية هي طريقة مكونات الفوج. أما المقاييس المباشرة التي تستهدف حساب معدلات الهجرة، فإن استخدامها ما

زال محدودًا في تحليل الهجرة الدولية، ولا يوجد اتفاق على معدلات قياسية للهجرة، إذ إن المعدلات المستخدمة ما هي إلا تطوير للمعدلات المستخدمة في قياس المواليد والوفيات، وكذلك المعايير المستخدمة في قياس الهجرة الداخلية في علم السكان. ويوضح أنه يمكن التفرقة بين معدلات الهجرة الخام ومعدلات الهجرة المنقحة كما هو الحال في الدراسات السكانية، إذ تمثل معدلات الهجرة الخام تلك التي يتم احتسابها لإجمالي السكان؛ بينما المعدلات المنقحة يتم احتسابها لفئات مختلفة من السكان؛ مثل: معدلات الهجرة العمرية، أو النوعية، أو طبقًا لأية متغيرات أخرى.

ويناقش الفصل الثامن العلاقة بين الهجرة والتنمية، ويوضح أن الهجرة الدولية لها أهمية كبيرة في عملية التنمية البشرية، حيث عملت على تدعيم النمو الاقتصادي العالمي وأسهمت في تطور الدول والمجتمعات، وأغنت العديد من الثقافات والحضارات، وأدّت دورًا مهمًّا على المستوى الوطني والإقليمي والعالمي، فتحويلات المهاجرين تمثل مصدرًا مهمًّا في العديد من الدول النامية، فحجم هذه التحويلات يفوق حجم تدفقات مساعدات التنمية الرسمية، وتأتي مباشرة بعد تدفقات الاستثمارات الأجنبية المباشرة. كما يوضح أن إسهامات المهاجرين تتجاوز مجال تحقيق الرفاهية في بلدان المقصد، لتمتد إلى تدعيم التنمية والحد من الفقر في بلدان المنشأ. في هذا السياق يناقش الفصل العلاقة بين الهجرة والتنمية، فيشير لتحويلات المهاجرين، ونقل المعارف والخبرات، والتبادل التجاري والمشاريع الاستثمارية المشتركة. ثم ينتقل ليعرض نظريات الهجرة الدولية والتنمية التي يصنفها على نظريات المنهج التفاؤلي، والتي ترى أن الهجرة العائدة تؤدي إلى انتقال رؤوس الأموال والاستثمار من دول الشمال المتقدمة إلى دول الجنوب الأقل تقدمًا، وبالتالي تسهم في الإسراع من عملية تعرض بلدان الجنوب للأفكار الليبرالية ونظم التعليم الحديثة وأفكار وقيم الحداثة والديمقراطية. أما نظريات المنهج التشاؤمي فترى أن الهجرة تؤدي إلى استدامة وتعزيز التخلف الاقتصادي بدلًا من أن تؤدي إلى دفع عجلة النمو الاقتصادي. ويختتم المؤلف الفصل بعرض ملامح لطريق ثالث في علاقة الهجرة بالتنمية، والذي يؤكد فيه على ضرورة التعاون في مجال الهجرة الدولية بين بلدان الإرسال والاستقبال لتحقيق مكاسب للمهاجر وبلد المنشأ وبلد المهجر.

ويختتم الكتاب بالفصل التاسع المعنون بـ "رؤية مستقبلية"، الذي يؤكد فيه الكاتب بوضوح أن هذا الكتاب يؤسس لعلم جديد مستقل من العلوم الاجتماعية وهو دراسات الهجرة. ولتحقيق الاستفادة القصوى لصالح المجتمعات المرسلة والمستقبلة، يستعرض الفصل الخيارات السياسية والدروس المستفادة التي يجب أن تضعها الحكومات نصب أعينها عند التعامل مع قضايا الهجرة، فيوضح مبدأ المعاملة بالمثل، والالتزام بمنهج حقوق الإنسان، وعلاقة الهجرة بتعدد الآخر وقبوله، والنظر إلى الهجرة على أنها خير، وعلاقتها بالمواطن العولمي، والتنمية، والانخراط الفعال في

الفعاليات الدولية والعمليات التشاورية في مجال الهجرة. ويختتم الفصل بتقديم رؤية مستقبلية لقضايا الهجرة، تتضمن الدعوة إلى إدارة جيدة للهجرة الدولية من خلال التعاون بين بلدان الإرسال وبلدان الاستقبال، وإلى إدارة تعتمد على إصلاح الخلل في هيكل الاقتصاد العالمي، والعمل على إرساء دعائم عادلة للتجارة الدولية تؤدي إلى نهضة اقتصادية في بلدان الجنوب.

على هذا النحو يتدرج الكتاب من توضيح المفاهيم الأساسية، إلى تحديد حدود موضوعات الاهتمام في دراسات الهجرة، ورسم ملامح وأبعاد النظريات المفسرة لهذه الموضوعات، وتحديد المقاربات المنهجية، لينتهي بحدود واضحة لموضوع ونظريات ومناهج دراسات الهجرة، وهي المكونات الأساسية لأي تخصص معرفي. لذا؛ فالكتاب قد نجح في مهمته الأولى كمحاولة للتأسيس لحقل دراسات الهجرة، وتنتظر مهمته الثانية التي تتضمن دعوة المتخصصين للتفاعل والإسهام في بلورة وصياغة دراسات الهجرة.

TAWASOL
For Studies & Cultural Awareness Foundation

ERTC
The Egyptian Research and Training Center

The Egyptian Journal of Social and Behavioral Sciences

The Egyptian Journal of Social and Behavioral Sciences (EJSBS)

An International Peer-reviewed Scholarly Journal

Published Twice Per Year

ISSN: 2682 - 2725

Issue No. 7

April 2023

Chief Editor
Dr. Abdel-Hamid Abdel-Latif

Editor
Dr.Mohammed Aboelenein